جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي -

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

جهود الشيخ زروق الفاسي في إصلاح التصوف من خلال كتابه _قواعد التصوف_

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية تخصص: عقيدة إسلامية

الطالبة:

نجود يوسف

تحت إشراف :

د. أحمد عامر باي

لجنة المناقشة:

الإسم و اللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. جمال الأشرافه	أستاذ محاضر _أ	جامعة الشهيد حمة لخضر_ الوادي	رئيساً
د. أحمد عامر باي	أستاذ محاضر_أ	جامعة الشهيد حمة لخضر_ الوادي	مشرفاً و مقررا
د. معمر قول	أستاذ محاضر _أ	جامعة الشهيد حمة لخضر_ الوادي	مناقشاً

الموسم الجامعي : 2020_2021 م /1442_1443ه

الإهـــــــــداء

للذين قال فيهما المولى تبارك و تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ سورة الإسراء : 24

أهدي هذا البحث إلى أول من انتظر هذه اللحظات ليفتخر بي و سندي في الحياة *أبي العزيز* الذي زرع بي القيم والمبادئ التي اوصلتني لما انا عليه الآن.

وإلى أول كلمة نطق بها لساني في الحياة و من حفتني بتراتيل دعواتها الطاهرة وعلمتني الصمود مهما تبدلت الظروف إلى أغلى مافي الوجود * أمي الغالية*

إلى من ساندني وخطا معي خطواتي، ويسر لي الصعاب، إلى زوجي العزيز *بلال* الذي تحمل معي الكثير، ووقوفي في هذا المكان ما كان ليحدث لولا تشجيعه المستمر لي.

إلى أعز الناس و أقربهم إلى قلبي وقلب زوجي إلى والدي عبد الرحمان و فتيحة اللذان كانا عونا وسنداً لي، وكان وقوفهم لي له عظيم الأثر في تيسير سفينة بحثي، أطال الله في عمرهم

وإلى من يعجز لساني والكلمات عن وصفهم من كانوا سنداً لي في حياتي و دراستي ومن شاركوني أفراحي أخواتي الأعزاء: كنزة,صوفيا,سامية,نسيمة,فلة, لويزة و إلى أخي: وانيس

إلى من اختلطت دموع فرحتي بتخرجي وحزني بوداع أحبتي في غمضة عين مرت أيامنا وها نحن اليوم نجني قطافنا ونودع أحبتنا والمكان الذي ضمنا طيلة خمس سنوات،هذه سُنة الحياة بالأمس التقينا واليوم افترقنا ولكن فرحنا بتخرجنا ينسينا ألمنا. إلى كل صديقاتي وحبياتي

إلى من منحني خلاصة فكرهم و علمهم أساتذتي الكرام إلى كل من علمني حرفاً من البيان و الداعين إلى العلم و الإيمان .

نجود يوسف

شكـــــر و تـــقديـــــر

الحمد لله القائل في محكم تنزيله ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ النمل_21_

فالحمد والشكر كثيراً والمنة لله عز وجل أولا وأخرا على عونه وتوفيقه لإتمام هاته الدراسة .

أتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على معهد العلوم الإسلامية بالوادي وعلى تخصص أصول الدين خصوصاً على ما يبذلونه في خدمة أبناء هذه الأمة. فجزاهم الله خيراً.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المؤطر: **أحمد عامر باي** لقبوله الإشراف على هذا البحث

كما أقدم عظيم شكري وامتناني إلى الدكتور **معمر قول** الذي ساعدني بتوجيهاته في إثراء هذا الموضوع.

و إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
هـ	هجري
م	ميلادي
ص	صفحة
ج	جزء
ط	طبعة
د ط	دون طبعة
د ن	دون ناشر
د ت	دون تاريخ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه و نستغفره ونتوب إليه و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له و أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا عبد الله و رسوله سيد الأولين و الآخرين، قدوتنا و إمامنا ﷺ و بارك عليه و على أصحابه و أتباعه و أعوانه. وبعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ظلالة وكل ظلالة في النار أما بعد:

لقد كان أمر الشريعة و تطبيقها في العصور الأولى لدولة الإسلام و المتمثل في العبادات و المعاملات و الحدود المؤسسة بالدرجة الأولى على قطبين أساسين وهما الفقيه والحاكم و مهمة الفقيه بيان مراتب هذه الأحكام ومهمة الحاكم هو حماية هذه الأحكام بناءا على ذلك لقد تبوأ الفقهاء مكان الصدارة في المجتمع الإسلامي لحاجة الناس إليهم فظهرت الأحكام الفقهية و تعددت وخص هذا العلم بالعناية و توجهت إليه أنظار كل طالب علم إلا أن الإهتمام بأصول الشريعة و أحكامها يثمر غير متناه لتثبت الحقيقة الشرعية و ترسيخها في النفوس وبيان أثرها على أرض الواقع تطبيق "فعلي"، لذلك قامت جهود مجموعة من أهل الفضل و الصلاح الذين شعروا بأهمية تثبيت المنظومة الدينية في عصر النبوة و السلف الصحابة و التابعين و ذلك باستخلاص المقاصد و جوهر الأحكام الشرعية لتحصيل المنفعة الشاملة وذلك بتحقيق الجمع بين الفقه الظاهر و الباطن و الذي اصطلح عليه بعلم التصوف، لقد أسس هذه الوجهة أكابر علمائها هذه الأمة انطلاقاً من مؤسسين المذاهب الفقهية المعروفة و أسماء أخرى مشهورة من علماء الشريعة كالغزالي و الشاطبي و غيرهم ...ومن أبرز المشايخ وممن ضرب بسهم في هذا الميدان الشيخ أحمد زروق الفاسي البرنسي ــرحمه اللهــ الذي تلقى العلم على أكابر علماء وقته و انتظم في سلك التعليم، المشهور بصاحب الشروحات المعتمدة عند المالكية، ويعتبر من أهم من اعتنى بالتربية والسلوك في الكتابات الإسلامية، وقد كان محباً للتصوف وهذا ما جعله ينفق سنين حياته في العلم و السفر بين الحواضر العلمية في العالم الإسلامي حيث أظهره كمنهج متخذاً العديد من المشايخ العلماء من المغرب، تونساً ومصرا

قدوةً له وقد اشتهر كثيراً في مصر حيث أصبح مرجع في المذهب المالكي وانتفع على يده خلقُ كثير.

ونظرا لوفرة ما ألف في التصوف الإسلامي قديما وحديثا ارتأيت أن يكون كتاب قواعد التصوف الذي جمع فيه خلاصة منهجه وبصمة جهوده في خدمة التصوف موضوع بحثي لإنه يعد مرجعا لا غنى عنه للباحث عن التصوف الإسلامي، الذي ينطلق من الوحي كما يعد تأصيل وتقعيد شرعي للتربية الصوفية الملتزمة بالكتاب والسنة، ذلك لأن الشيخ زروق هو أحد المتصوفة المغاربة الذين عرفوا بتقيدهم بالوحي تأصيلا وممارسة.

أهمية الموضوع:

_ تميز الشيخ أحمد زروق بفكره الوسطي المعتدل في تصوفه، وهذا طابع يطبع التصوف المغربي عموما.

_ أهمية جهود زروق الفاسي في خدمة التصوف.

_ أهمية موضوعات التصوف التصوف و حاجة المجتمعات إليها.

_ أهمية جهود التعريفية بعلم التصوف ووضعه في مكانته اللائقة في حياة المسلمين منهجاً و سلوكاً.

الإشكالية البحث:

إن الإشكالية الأساسية التي تناول بحثي طرحها تتمثل في السؤال الرئيسي الآتي: ما هي أبرز جهود الشيخ زروق في إصلاح التصوف؟ ويتفرع من السؤال الرئيسي أسئلة فرعية تتمثل: ماذا قدم الشيخ زروق من خلال كتابه قواعد التصوف؟ هل هناك توفيق أم تعارض بين الفقه و الشريعة؟

أهداف البحث:

_ إبراز أهم معالم جهود الشيخ زروق الفاسي في التصوف.

الدراسات السابقة:

من بين الدراسات التي أُلفت في هذا الموضوع:

1- أطروحة دكتوراه_ ملامح الدرس العقدي عند صوفية الغرب الإسلامي -الشيخ أحمد زروق الفاسي نموذجا- بحثت عنه و لم أقف عليه.

2- رسالة ماجستير الفكر العقدي للشيخ أحمد زروق البرنسي، وقد استفدت من هذه الدراسة التي نتجت لي مفاهيم مغلقة ووسعت لي مدارك الفهم لموضوعي هذا

و أما دراستنا تتميز عن هذه الدراسات من خلال تحليلنا كتاب من بين كتبه الجلية فكنت في كل مرة أستنبط ما جاء في كتاب قواعد التصوف و أستخلص منه ما يتضمنه موضوعي.

أسباب اختيار البحث:

أسباب موضوعية

_ المساهمة في إبراز الجهود في خدمة التصوف .

_ الوقوف على معالم وخصائص جهد زروق الفاسي في خدمة التصوف.

أسباب ذاتية:

_الرغبة في دراسة هذا الموضوع.

_دعم الفكرة من قبل الأستاذ المشرف جزاه الله كل خير.

منهج البحث:

أما المنهج الذي اتبعته في بحثي فهو منهج استقرائي ثم تحليلي، و يتجسد المنهج الاستقرائي في تتبع و استقراء و استقصاء و الوقوف على أهم جزئيات و قواعد من خلال كتاب _قواعد الكتاب.

صعوبات البحث:

ومن طبيعة كل باحث علمي مواجهته لبعض الصعوبات منها عدم كفاية المادة العلمية المطروحة في الموضوع، أيضا عامل الزمن الذي لم يكن مساعدا لكثرة الإرتباطات والشواغل الضرورية.

خطة البحث:

و قد اعتمدت خطة لبحثي احتوت على مبحثين، المبحث الأول بعنوان: موجز السيرة الذاتية لشيخ أحمد زروق و التعريف بعلم التصوف، شمل أربع مطالب تضمن المطلب الأول حياة الشيخ زروق الفاسي الشخصية و المطلب الثاني حياة الشيخ زروق العلمية و المطلب الثالث بعنوان:تعريف التصوف ومجاله و أهميته ، المطلب الرابع: واقعه خلال القرن الثامن والتاسع هجري ، وبالنسبة للمبحث الثاني: قد شمل معالم التصوف عند الشيخ زروق الفاسي واحتوى على أربعة مطالب، المطلب الأول: التعريف بكتاب _قواعد التصوف_ والمطلب الثاني: موقفه و جمعه بين الشريعة و الحقيقة و المطلب الثالث: المقصد الأخلاقي في فكر الشيخ أحمد زروق و المطلب الرابع: مركزية حديث جبريل ومنظومات الإسلام الثلاث وذيلت ذلك كله بخاتمة وفيها مجمل النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، و أسأل الله العلي القدير التوفيق و السداد.

والحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول

موجز السيرة الذاتية لشيخ أحمد زروق الفاسي رحمه الله و التعريف بعلم التصوف

- ✓ **المطلب الأول**: حياة الشيخ زروق الفاسي الشخصية
- ✓ **المطلب الثاني**: حياة الشيخ زروق العلمية
- ✓ **المطلب الثالث**: تعريف التصوف ومجاله و أهميته
- ✓ **المطلب الرابع**: واقعه خلال القرن الثامن و التاسع هجري

موجز السيرة الذاتية لشيخ أحمد زروق الفاسي رحمه الله و التعريف بعلم التصوف

وقبل أن أخوض في الموضوع لابد من نبذة موجزة عن الشيخ زروق فبالله التوفيق سأقدم في هذا المبحث دراسة تمهيدية، لشخصية أحمد زروق الفاسي رحمه الله مبينين فيه حياته الشخصية من نسبته ومولده وشيوخه كما سنذكر حياته العلمية من رحلاته وكذا مؤلفاته ومكانته العلمية وأراء العلماء عليه.

كما أبين في لمحة موجزة عن التصوف وأهميته ومجاله وذكر أهميته و واقعه خلال الفترة مابين القرن الثامن والتاسع هجري الذي يفتح لنا آفاق في الحياة الفكرية و الإجتماعية آنذاك .

✓ المطلب الأول: حياة الشيخ زروق الفاسي الشخصية

إن تطرقي إلى الجهود الإصلاحية لشيخ زروق الفاسي يستوجب منهجيا التناول جانباً موجزا أتعرض إلى نسبته و حياته و البيئة التي عاش فيها ثم بعد ذلك جهوده العلمية و أهم آثاره وهو ما سأتناوله في هذا المطلب .

1- نسبة الشيخ زروق الفاسي ومولده

أ- نسبة الشيخ زروق الفاسي

هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عيسى البرنسي المغربي الفاسي المالكي، المعروف بزروق[1]، نسبة لجده وقد كان أزرق العينين وهي زرقة موجودة لدى البربر فهو من قبيلة البرانس إحدى القبائل البربرية التي تقع بين تازا و فاس[2] والبرنسي والبرنوسي والبرلسي، والصحيح "البرنسي"كما جاء في كتاب "أحمد زروق و الزروقية"

وذكر أنه قال في قصيدته أرجوزة في عيوب النفس.[3]

البرنسي الأصل ثم الفاسي *** المشتهر زروق بين الناس[4]

وهي كما قال صاحب جذوة الإقتباس "البرنسي نسبة إلى البرانس، قبيلة من البربر، بين فاس وتازا، وبمجاورتهم قبائل لا تحصى من البربر"[5].

ب- مولد الشيخ زروق الفاسي:

وقد تحدث عن مولده في كناشته فقال: "ولدت يوم الخميس طلوع شمس ثامن وعشرين من المحرم سنة ستة و أربعين و ثمانمائة، وتوفيت أمي يوم السبت بعده و أبي يوم الثلاثاء بعده كلاهما في سابعي فبقيت بعين الله وكفلتني جدتي الفقيهة أم البنين".[6]

1_ زروق الفاسي، قواعد التصوف، تحقيق: محمود بيروتي، ط:1، د: البيروتي- سوريا، 1424هـ /2004، ص: 8.

2_أحمد فريد النزيدي، شرح متن الرسالة، د.ط، د: الكتب العلمية،1971، ج: 1، ص: 5.

3 _علي فهمي خشيم، أحمد زروق و الزروقية، ط:3، د: المدار الإسلامي، 2002، ص: 27

4 _مصدر نفسه، ص: 27.

5 _أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الإقتباس، د.ط، دار المنصور، الرباط، 1973، ص: 129

6 _مرجع نفسه، شرح متن الرسالة، ص: 5.

2- شيوخ و تلاميذ الشيخ أحمد زروق

أ_ شيوخ الشيخ زروق الفاسي: تتلمذ على أشهر علمائها وفقهائها آنذاك و التقى الإمام زروق برجال أعانوه في دراسته لكتب اللغة و الدين وكان الشيخ زروق فخورا بهؤلاء الأساتذة المشهورين وسجلهم في كناشته وهذا قائمة من بعض شيوخه من بينهم:

_عبد الله بن مُحَمَّد بن قاسم القوري.

_أحمد بن مُحَمَّد القشتلاني.

_ أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن موسى العبدوسي (ت849هـ).

_ أبو العباس أحمد بن سعيد المكناسي ثم الفاسي (ت 870هـ)

_ أبو العباس أحمد بن العجل الوزروالي (ت856هـ).

_أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الرحمن الأنفاسي (ت860هـ).

_ أبو عبد الله مُحَمَّد المعروف بابن أملال(ت856هـ)

_ أبو علي الحسن بن منديل المغيلي (ت866هـ.).

_ -أبو سالم ابراهيم التازي (ت866هـ).

_أبو عبد الله مُحَمَّد المشذالي (ت 866هـ)

_عيسى المواسي.

_أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ.)

_أبو عبد الله مُحَمَّد بن يوسف الحسني السنوسي (ت 895هـ).

_ مُحَمَّد القرشي.

_ أبو العباس أحمد بن زكريا التلمساني (ت 899هـ) [1].

1_مذكرة تخرج ماجستير، الفكر العقدي للشيخ أحمد زروق البرنسي، ص:21/23.

ب_ تلاميذ الشيخ زروق الفاسي

من تلاميذه الذين أخذوا منه العلم نذكر منهم:

_شمس الدين اللقاني(953).

_مُحَمَّد بن عبد الرحمان الحطاب الرعيني.

_أبو الحسن البكري المصري.

_ ناصر الدين اللقاني(958).

_أبو عبد الله مُحَمَّد الخروبي(963).

_ عبد الرحمان الفاسي(959هـ).

_ عبد الوهاب الزقاق(961هـ).

_طاهر بن زيات الزواوي المعروف بزروق الصغير.

_ طاهر بن زيان القسنطيني[1].

3- وفاة الشيخ زروق الفاسي

توفي الشيخ أحمد زروق في اليوم الثامن عشر من شهر صفر سنة(899هـ/1493م)، وهي آخر سنة من القرن التاسع الهجري، وكان عمره أربعة وخمسون عاما[2]، و دفن في قرية دكيران بمصراتة وهو مشهور هناك و زاويته مازالت معروفة به، ومازالت مقصودة من أبناء المسلمين لحفظ القرآن، وتعلم علوم الشريعة. و كان قد أفنى حياته في خدمة العلم و عبادة الله وتعليم أبناء المسلمين لحفظ القرآن وتعلم علوم الشريعة[3].

1_مذكرة تخرج ماجستير، الفكر العقدي للشيخ أحمد زروق البرنسي، ص:23

2_ مرجع سابق، زروق و الزروقية، ص: 65

3_الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، ط:3، دار المدار الإسلامي، ص:109.

4- الحياة الإجتماعية و الفكرية في عصره

- **الحياة الإجتماعية[1]:**

إن المصادر التي ترجمت لشيخ زروق لم تلقي الضوء على الحياة الإجتماعية بمصراته في عهده أما فاس فكان يغلب عليها الطرق الصوفية (حيث كان لكل شيخ طريقة وأتباع)، والإعتقادات الخرافية، وانتشار القصاص، و كثير من بدع الصوفية، وكانوا يعتمدون في معاشهم على الأعمال الحرة:كالحرف ومنها الخياطة، و الخرازة لاسيما الطبقة الفقيرة منهم، كما كانوا يحافظون على التقاليد الدينية:كالتمييز بين الرجال والنساء، وغيرها.

1- انتشار الإعتقادات الخرافية تلك الأسطورة التى ذكرت حول شيخ زروق الزيتوني لما دخل عليه تلميذه أحمد زروق، ووجد معه امرأتين،إحداهما عن يمينه والأخرى عن شماله،ثم ولى راجعا زروق، فنادى به شيخه، و لما عاد لم يجد معه أحدا،وادعى أن التي كانت عن يمينه هي الآخرة، والتي كانت في يساره هي الدنيا.

2- الإعتماد على الأعمال الحرة في المعاش كالحرف ومنها الخياطة، والخرازة قرار جدته بأن ترسله ليتعلم الخرازة إثر مشورة أحد أقاربه و قد تعودت الجدة أن تعيد على مسمع حفيدها كل يوم: " لا بد من تعلم القراءة للدين والصناعة للمعاش،حيث كان يذهب لتعلم الخرازة ثلاث مرات في الأسبوع" [2].

3- انتشار القصاص في عهده .

4- محافظتهم على التقاليد الدينية:كتميز الرجال عن النساء، بتقاليده الموروثة من الدين: حين صبغ يديه وقدميه بالحناء أنكرته عليه أم هاني العبدوسية و أنبته كثيرا لأنه ارتضى لنفسه خاصا بالنساء فامتثل ولم يصنع بعد ذلك أبدا.

5- انتشار البدع، وكثير من الطرق الصوفية التي حاد أصحابها عن الجادة: تأليف زروق كتابه (عدة المريد الصادق)، الذي انتقد فيه بشدة سلوك هؤلاء المتصوفة المبتدعين.

1_ مراري عبد القادر، رسالة ماجستير الفكر العقدي للشيخ أحمد زروق البرنسي، ص:16.

2_ المرجع نفسه.

- **الحياة الفكرية:**

رغم الاضطرابات والفتن التي كان المغرب مسرحا لها أواخر الدولة المرينية، وخلال الدولة الوطاسية إلا أن الحركة العلمية بقيت مشعة، يزداد نشاطها في مجالات الفكر، والثقافة فازدهرت العلوم الإسلامية بها، وبخاصة الفقه،والتصوف؛ و تقدمت الفنون والمعارف،حتى أصبحت هناك نهضة علمية جبارة لم يعرفها المغرب من قبل، وسبب هذه الحركة العلمية؛ يعود إلى أمور كثيرة من أهمها: المنشآت العلمية، والمكتبات التي هي بمثابة الروح للجسد يرتوي منها العلماء والفقهاءالذين اشتهرت بهم بلاد المغرب عموما و فاس خصوصا [1].

✓ المطلب الثاني: حياة الشيخ زروق العلمية

الإمام أحمد من الذين سلكوا طريق العلم وبلغ فيه و تميز و أبدع في زمانه في أخذه للعلم من شيوخه وما سنتطرق اليه في هذا المطلب كيفية أخذه للعلم وطلبه له:

1- طلب الشيخ أحمد للعلم.

في سن السادسة عشر تحول إلى طلب العلم، وكانت جامعة القرويين حينئذ منارة العلوم الإسلامية بفاس-بلد المؤلف- تعج بكبار العلماء و الشيوخ، فدرس بها المؤلف بعض أمهات كتب الفقه المالكي، و علوم القرآن و الحديث و التوحيد والتصوف و العربية، وذكر من الكتب التي قرأها في هذه المرحلة على وجه الخصوص (الرسالة) قال: قرأتها على الشيخين علي السطي، وعبد الله الفخار قراءة بحث و تحقيق، وقرأ على جماعة علم القراءة بحرف نافع، منهم الشيخ مُحَمَّد بن القاسم القوري، والشيخ عبد الله التجيبي الملقب بالأستاذ الصغير، كما قرأ على القوري البخاري، وسمع منه كثيراً وتفقه عليه في قراءة "كتاب أحكام عبد الحق" و"جامع الترمذي" و قرأ في التصوف و التوحيد "الرسالة القشيرية" و"عقائد الطوسي" على الشيخ عبد الرحمن المجدولي و "التنوير"على الشيخ القوري[2].

1_ مرجع سابق، رسالة ماجستير: الفكر العقدي، ص :17.

2_ أحمد زروق،عدة المريد الصادق، تحقيق: الصادق بن عبد الله الغرياني، ط:1، د: ابن حزم- بيروت ، 1467هـ/2004م، ص: 9/8 .

و أخذ التصوف عن أحمد بن عقبة اليمني، و قد تخصص في جميع العلوم: في التفسير، والحديث، و الفقه، والأدب، و النحو، و كانت دراسته كلها دراسة تحقيق و تدقيق في جميع العلوم و أخذ القراءات عن الزهروني، و القوري، بقراءة نافع و سمع البخاري على القوري، وأخذ عنه أحكام عبد الحق الصغرى، و جامع الترمذي.

2- رحلات و تنقلات الشيخ أحمد زروق.

لقد تنقل الشيخ أحمد زروق قاصداً العلم و المعرفة آخذا من شيوخه التوجيهات و النصح والإرشادات ومن رحلاته:

أ_ رحلته إلى المشرق: في عام875هـ توجه الشيخ زروق إلى الحج و في الطريق مر بمصر و أقام بها عند عودته عاماً تتلمذ خلاله على عدد من الأعلام شيوخ في الحديث و الفقه و التصوف مثل: الحافظ السخاوي، نور الدين السنهوري، أبو العباس الحضرمي، ومن الكتب التي قرأها في الحديث و الفقه: "الأحكام الصغرى لعبد الحق"- "كتاب ابن أبي جمرة"- "صحيح البخاري"- "المدخل" لبني حاج. و قرأ في التصوف : "إحياء علوم الدين"، "الرسالة القشيرية"، "كتب ابن عطاء الله السكندري". و في عام 877 رجع الشيخ زروق من مصر متجهاً إلى المغرب فأقام ببجاية بالجزائر، و كانت له فيها مكاتبات واتصال مع شيوخ مشارقة ثم رجع في عام 880هـ إلى وطنه بفاس، وحددت له جفوة مع شيوخها فغادرها بعد أربع سنوات ، ورجع إلى بجاية التي لم يستقر فيها طويلاً هذه المرة إذ سرعان ما غادرها إلى مصر، و في مصر جدد الصلة بشيوخ القدامى، ومنهم الحافظ السخاوي، الذي حصل منه على إجازة، وأبو العباس الحضرمي، الذي وثق صلته به، واستفاد منه و تأثر به كثيراً في التصوف مبني على الشريعة، وفي هذا الوقت صار للشيخ زروق شأن كبير في العالم، وقدم راسخة في التربية و السلوك، فالتف حوله طلبة العلم والمريدون، و آن له أن يبحث عن دار إقامته لينتفع به فيها أناس، و يتمكن فيها من أداء رسالاته العلمية و التربوية على أفضل وجه، بعد أن نبذه قومه أهل فاس، فكانت مصراته الواقعة إلى شرق طرابلس أسعد البلاد به [1].

[1] _ مرجع سابق، عدة المريد السابق، ص:10/9.

ب_ نزوله بمصراته: نزل الشيخ زروق عام 886هـ، وطلب المقام فيها، ولقي من أهلها كل تقديم و ترحيب، وتزوج بها زوجته أمة الجليل بنت أحمد بن زكرياء الغلباوي، و قد تزوج الشيخ في حياته خمس مرات و اجتمع حوله الناس للاستفادة من دروسه و نصائحه و توجيهاته وأحاطوه بالعناية و الرعاية. و في عام 894هـ توجه إلى الحج، ومر بالقاهرة حيث ألقى بعد دروس بجامعة الأزهر ثم رجع بعد أداء فريضة الحج إلى مصراته و قضى بها السنوات الأربعة الباقية من عمره[1].

ج_رحلته إلى تونس: و له رحلة إلى تونس، لطلب العلم ، و أخذا عن كبار علمائها كالشيخ الرصاع وعبد الرحمن الثعالبي[2].

3- مكانة الشيخ زروق الفاسي العلمية.

الشيخ أحمد من الذين بلغوا في العلم مبلغاً فهو عالم فقيه محدث، لاشك في ذلك و يدل على ذلك عدة أمور:

1-كثرة شيوخه ورحلاته، واشتهاره بالطلب والجد والتحقيق، قال هو في كناشته كما نقله الطاهر أحمد الزاوي:"شرعت في قراءة الرسالة على الشيخ السطي قراءة تحقيق وبحث"[3].

2-شهادة العلماء بقدم السبق فيه، قال الطاهر أحمد الزاوي: "و قد تخصص في جميع العلوم في التفسير والحديث والفقه والأدب والنحو وكانت دراسته كلها دراسة تحقيق وتدقيق في جميع العلوم"[4]، وغيره الكثير ممن وصفه بالعلم، بل أطلقوا عليه صفة العالم، وكفى بشهادة أهل العلم بذلك.

3-آثاره الواسعة وكتبه الكثيرة والقيمة لا تخلو من فائدة تشهد له بالرسوخ، والتبحر في العلوم، قال عنها غير واحد ممن ترجم له بأنها قيمة اشتملت: على التحرير، وصحة النقل، والوضوح، ونمثل لذلك بثلاث أمثلة اختصار لا حصرا: قال صاحب شجرة النور الزكية مُحَمَّد

1- مرجع سابق، عدة المريد الصادق، ص:10/9.

2_مرجع سابق، أعلام ليبيا، ص 107.

3_ مرجع سابق، مذكرة ماجستير، الفكر العقدي للشيخ أحمد زروق البرنسي ، ص: 33

4 _ مرجع سابق، مذكرة ماجستير، الفكر العقدي للشيخ أحمد زروق البرنسي ، ص: 33

بن مُحَمَّد مخلوف: "وكان يميل في تآليفه إلى الإختصار مع التحريرات والتحقيقات قل أن توجد لغيره"[1].

4- أراء العلماء فيه.

ومما يبرز مكانته العلمية و قيمته و جهوده في خدمة التصوف وفي مختلف العلوم شهادة كثير من العلماء فيه ومن ذلك:

شهد له ابن الغازي بقوله:"بالفقيه المحدث الصوفي"[2].

و قال الشيخ عبد الله كنون: "محتسب العلماء و الأولياء" [3]. . وهي صفة جليلة ضخمة لم يظفر بها غيره من العلماء الإسلام، لا فيما قبله ولا فيما بعده. وإنما صدق عليه هذا اللقب، لإنه ألزم الفقهاء بالتصوف و ضبط التصوف بالفقهاء. كثيراً ما يأتون بسلوكهم و ضعف صدق توجيههم إلى الله كما أن الصوفية أغلب ما يقع الإنكار عليهم من جهة مخالفة الشرع، والعمل لا يكون مقبل من عند الله إلا إذا كان خالصاً لوجه الله و كان موافقاً لشرعه.

قال فيه أحمد ابن القاضي المكناسي : " الفقيه الإمام الولي الصالح"[4].

قال أحمد بابا التنبكتي: "الإمام العالم الفقيه المحدث الصوفي الولي الصالح الزاهد "[5].

قال فيه ابن غازي أيضاً: " صاحبنا الأود الخلاصة الصفي الفقيه المحدث الفقير الصوفي البرنسي"[6]. وفي كتاب نيل الإبتهاج أيضاً قال : "هو آخر أئمة المحقيقين الجامعيين لعلمي الحقيقة و الشريعة"[7].

1_ مرجع نفسه.

2 _مرجع سابق، أعلام ليبيا، ص: 108.

3_مرجع سابق، متن الرسالة:ص: 6.

4_ مرجع سابق، جذوة الإقتباس، ص: 128

5_مرجع سابق، نيل الإبتهاج، ص: 130.

6 _مرجع سابق، نيل الإبتهاج، ص، 132.

7_ مرجع نفسه ، نيل الإبتهاج، ص:132.

ومن الأقوال التي ذكرنا يتبين لنا بأن الشيخ زروق الفاسي كان له مكانة محترمة بين أهل العلم بما شهد له أهل زمانه ومن تأخر عليه.

5- مؤلفاته

كتب الشيخ زروق تآليف متنوعة، في الفقه والحديث وعلم الكلام والتصوف والحساب،لكن أهم كتبه في الفقه و التصوف ، كما يعد كتاب "عدة المريد الصادق" و كتاب "قواعد التصوف" من أهم مؤلفاته في التصوف و كتاب – شرح متن الرسالة ابن أبي زيد القيرواني من أهم مؤلفاته في الفقه. كما يلاحظ أن له كثير من الكتب مكررة تحت عناوين مختلفة و المحتوى واحد مع اختلاف طفيف، بالتقديم أو التأخير أو الإختصار، وذلك كما في كتاب عدة المريد الصادق و كتابه "النصح الأنفع و الجنة للمعتصم من البدع بالسنة" وكتاب "البدع"و "البدع والحوادث"و كتاب " الجامع لمجمل من الفوائد و المنافع" فهذه خمسة عناوين هي في الواقع أسماء متعددة لكتاب واحد [1].

ومن كتبه في الفقه والحديث:

_شرح الرسالة و له عليها شرحان

_ شرح الوغليسية

_ شرح القرطبية

_شرح قواعد القاضي عياض.

_حاشية على مسلم

_رسالة في مصطلح الحديث

_ شرح الأربعين

_تعليق على البخاري طبع منه خمسة أجزاء بمطبعة حسان بالقاهرة على نفقة ولي عهد أبي ظبي الشيخ خليفة بن زايد[2].

1_ مرجع سابق، عدة المريد الصادق، ص: 13/12

2_مرجع سابق، شرح متن الرسالة، ص: 7/6.

كتبه في العقيدة: شرح عقيدة الغزالي.

كتبه في التصوف:

_شرح حزب البحر

_ النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية

_ شرح الحكم العطائية

_ شرح المباحث الأصلية لابن البنا السرقسطي[1].

✓ المطلب الثالث: تعريف التصوف.

عرف التصوف واختلف باختلافات عديدة منهم من أرجعها إلى عدة اشتقاقات لغوية ومنهم من أرجعها إلى معانيه ومقاصده الإصطلاحية وهو ما سنبرزه رغم الإختلاف الواسع في تعريفه في الجانب اللغوي و الجانب الإصطلاحي

1- التصوف لغةً:

تعددت مفاهيم كلمة التصوف إلى معاني كثيرة أرجعها الباحثون إلى اشتقاقات عدة نذكر ما جاء في تعاريفهم مايلي:

جاء في المعجم الوسيط: أن التصوف: فلَان صَار من الصُّوفِيَّة و التصوف: طَرِيقَة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النَّفس وتسمو الرّوح[2].

و الصُّوفِي: من يتبع طَرِيقَة التصوف والعارف بالتصوف وَأشهر الآراء فِي تَسْمِيَته أَنه سمي بذلك لِأَنَّهُ يفضل لبس الصُّوف تقشفا[3].

1_مرجع نفسه،صفحة نفسها .

[2] _ إبراهيم مصطفى و آخرون..، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، د: الدعوة، (د.ط)، (د.ت)، ص : 529

[3] _ مصدر نفسه، صفحة نفسها.

2- التصوف إصطلاحاً:

إن ذكر تعاريف الجانب الإصطلاحي للتصوف مما ينحصر و يضيق به المقام في هذا البحث نتيجة التعاريف العديدة التي تعددت عند العلماء ومن أبرزها:

يعرفه الجرجاني : الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرًا، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، وباطنًا، فيرى حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل للمتأدب بالحكمين كمالٌ[1].

و يعرفه الشيخ زروق بقوله: " أصل التصوف عنده ملازمة الكتاب و السنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات الشرع، ورؤية العذر للخلائق، و المداومة على الأوراد، وترك الرخص و التأويلات، وذكر أن هذه هي الأصول و من ضيعها حرم الوصول[2].

3- مجال التصوف:

التصوف علم من العلومِ التي نشأت في الحضارةِ الإسلامية، لذا كان لكل علم مجاله الخاص به، وإن كان الفقه مجاله الأحكام الشرعية، فمجال التصوف هو الأخلاق، وبعبارة أخرى إن كان الفقه مهتما بالتشريع فالتصوف علم يهتم بالتربية والسلوك، وإن كان الفقه يهتم باستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها فالتصوف يهتم بتزكية النفس بتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل، و على هذا الأساس فالحديث عن التصوف تفعيل لما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية، ونقصد بذلك الأحكام التي تضمنها الإسلام جملة، وهي تندرج تحت ثلاثة أقسام رئيسية، وهي العقائد و الفروع من عبادات ومعاملات وأخلاق[3].

---

1 _علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، د: الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط: 1، 1403هـ - 1983م،ج: 1، ص: 59.

2 _مصدر سابق، عدة المريد الصادق، ص:20.

3_معمر قول، مطبوعة التصوف الإسلامي، سنة ثالثة عقيدة و مقارنة الأديان، جامعة الوادي، 2018/2017، ص: 15

4- أهمية التصوف

التصوف بهذا الاعتبار والتقدير، سفينة النجاة التي تمخر عباب الأمواج العاتية للحياة المادية الفاقدة للروح والغاية، والمحطة التي تزود الإنسان بطاقة روحية ووجدانية تفيده في تحرير نفسه من سلطان الهوى، والشهوة، وأغلال النزوة ومن أهمية التصوف ما يلي:

1-إن التصوف يعد جامعة شعبية تجمع مكونات الثقافة الإسلامية، ومختلف شرائح المجتمع الإسلامي، فالفلاسفة والحكماء، والمتكلمون وأهل الفقاهة، وأرباب الأدب والشعر، وسائر طبقات الناس من العلية إلى السفلة، يستطيع التصوف أن يمدهم بوهج يوقد أنوار الهداية في حياتهم، ويعطي غاية وهدفا حقيقيا لوجودهم.

2- إن التصوف يمثل الحياة الروحية للديانات السماوية، ويجسد حقيقة التدين الصحيح الذي يحرك الإنسان في دائرة الفعل المسؤول، فلا حقد، ولا عداء، ولا حسد، ولا بغضاء، ولا تطاول على حقوق المخلوقين والعباد، فالتصوف هو الموصل العبد الصادق إلى حضرة علام الغيوب، وهو الجسر الذي يعين الإنسان على التعايش السلمي مع أخيه الإنسان.

3- إن التصوف يبرُز في خاصيته بمثابة نقطة المحور التي تلتقي في رحابتها جميع المذاهب والمشارب، فالسني إلى جانب الشيعي، والماتريدي إلى جانب الأشعري، والمالكي إلى جانب الشافعي، فلكل حظ من هذا الإرث الروحي، ونصيب لا ينكر.

4- إن التصوف يقدم للإنسان حلولا عملية تساعده على ترويض نفسه، وتهذيب أخلاقه، وتخليص ذاته من الأنانيات المفرطة، ويعطي أملا في تهيئة الأنفاس والحواس الباطنية والظاهرة للإقبال على الله عز وجل.

5-إن التصوف يعلم الإنسان كيف يحتفظ على أعمال الظاهر والباطن، وكيف يرسم الطريق الموصل إلى تحقيق ذلك، فالظاهر يجسد جوهر العمل بإحدى الجوارح والكواسب، والباطن يمثل الحقيقة الدافعة إلى العمل[1].

1_ ابراهيم الوراق، مؤسسة الحوار المتمدن، 03:04 - 8 / 11 / 2006 - 1728 ، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=80253، 19:57.

✓ المطلب الرابع: واقع التصوف في القرن الثامن و التاسع هجري.

قدم عبد الرحمان بن خلدون صورة معبرة، أبرز فيها بألوان مثيرة، أهم المعالم التي عرفها القرن الثامن الهجري : "و أما لهذا العهد، وهو آخر المئة الثامنة، فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه، وتبدلت بالجملة هذا إلى ما نزل بالعمران شرقاً و غرباً في منتصف هذه المئة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها و أوهن من سلطانه، وتداعت إلى التلاشي و اضمحلال أحوالها وانتقض عمران الأرض بانتفاض البشر فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن"، الأمر الذي جعل نفسية المغربي ميالة إلى البحث عن سند فيه القوة والاستقرار و السعادة المفقودة في الواقع، فكان نمو الحركة الصوفية التي تسللت إلى جميع شرائح المجتمع المغربي من خلال المجهود الذي بذله رجال التصوف لإقرار مشربهم وترسيخه في المجتمع وبالتالي مساهمتهم في صياغة ذهنياته وتوجيههم لأحداثه، فأصبح التصوف بذلك التيار الغالب في المغرب في هاته الفترة.

وهو الذي ذاع و ازداد نشاط شيوخه، فكثر الأتباع والمريدون وانتشرت الزوايا بمختلف أنحاء المغرب، كما اجتذب التصوف إليه الفقهاء و العلماء. وهكذا وجدنا من اقتحم مجال التصوف بدافع الممارسة أو عن رغبة في التأليف الصوفي. فابن خلدون ألف كتاباً في التصوف عنونه:" شفاء السائل لتهذيب المسائل" ولسان الدين بن الخطيب ألف في الموضوع كتاباً سماه "روضة التعريف بالحب الشريف" وغيرهم كثير من الذين مثلوا النخبة المثقفة في المجتمع المغربي[1].

كما إن ظهور التصوف في المغرب العربي كان مصدره المشرق، وترجع بوادره الأولى إلى القرون الوسطى وقد فتح الباب واسعا بين القرنيين الثالث عشر والخامس عشر، لانتشار ظاهرة الأولياء الصالحين في الإسلام السني خاصة وأن الفقهاء للمذهب المالكي تميزوا بالتسامح والتغاضي على هذا الصعيد، وعند هذا التقاطع التاريخي خرج التصوف من كونه مجرد تجربة ليصبح فيما بعد ظاهرة اجتماعية من خلال الطرق والزوايا. وإن حال التصوف في المشرق

1_ مصطفى الريس، تقعيد المشرب الصوفي بالمغرب في القرن الثامن الهجري، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، ص 5/4

يختلف عما كان عليه بالمغرب العربي فالتصوف في المغرب العربي، وخاصة في الجزائر لم يشهد نفس الصراع الذي عاشه في المشرق إذ أن المغرب العربي عرف خلال القرن السابع والثامن والتاسع للهجرة متصوفين متمسكين بالكتاب والسنة ومبتعدين عن التصوف الفلسفي الذي أسسه ابن مصرة الأفلسي(ت 269هـ381 م)وتزعمه ابن العريف (ت 536هـ)في عصر المرابطين وابن عربي (ت 638هـ) في عصر الموحدين، قد عايشت الحياة الروحية مع الحياة العقلية في تكامل، والعلوم الشرعية مع علوم الحقيقة في تواصل.

والظاهر أن المغرب الإسلامي لم يكن هو بدوره بعيدا عن ظاهرة التصوف، وظهر في هذه الأثناء أيضا متصوفون لامعون أمثال الحسن الشاذلي، وابن مشيش وأبا مدين وأحمد زروق، وتبعهم في ذلك عبد الرحمن الثعالبي ، ومُحَمَّد الهواري وإبراهيم التازي.....الخ، وغيرهم من المتصوفين المهتمين بهذه الحركة، كما أن نشاط الطريقة ورجال الطرق في بلاد المغرب الإسلامي ازدهر كثيرا بعد ملامح زوال الدولة الموحدية وانتشر بشكل أسرع خلال الضعف السياسي الذي أصاب كيان الدولتين الزيانية والحفصية في كل من الجزائر وتونس، حيث أصبحت المسؤولية كبيرة على رجال الدين وذلك لحماية الأراضي الإسلامية من الخطر الإسباني وتحرشاتهم على الضفة الجنوبية من البحر الأبيض المتوسط[1].

وقد ذكر أبو القاسم سعد الله في كتابه: ومن أبرز ما تميز به القرن التاسع في الجزائر ظهور عقيدة المرابط وانتشار الزوايا وافتتاح عهد التصوف (العملي خصوصاً). وفي هذه الظاهرة هي التي سنجدها تزداد انتشاراً و إغراقاً في القرون الثلاثة اللاحقة للعهد العثماني. ولاشك أن وجود هذه الظاهرة كان يعود بالدرجة الأولى إلى ضعف الدولة أمام الإنحلال الداخلي و الخطر الخارجي.

حقاً أن التصوف قد ظهر في المشرق قبل ذلك بقرون ووجد طريقه إلى المغرب العربي في حينه ولا سيما مذهب الغزالي الذي كان له في الموحدين أنصار ودعاة ولكن المبالغة في

1 _حرحيرة مداني، مذكرة لنيل الماجستر في الفلسفة: الرمزية الصوفية في الأزمات الإجتماعية، كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية، جامعة واهران، 2013/2012، ص: 26

الإعتقاد و الشيخ وابتداع الحضرة و الأوراد و غيرها. و الالتفات حول زاوية الشيخ و ضريحه كل هذه الأمور تكاد تكون وليدة القرن التاسع وما بعده[1].

في هذا المبحث يمكن القول أن الإمام أحمد زروق عالم، فقيه محدث، من الذين اعتنوا بالعلم و التعلم كما سبق القول، و أنه كانت له الصدارة في ذلك وهذا باهتمامه الكبير بالعلم النافع آخذاً من كثير من الشيوخ قدوة حيث أصبح ممن تسلح بالعلم في خدمة الدين و التصوف خصوصاً.

1_ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، د: الغرب الإسلامي، ط:1، 1500/1830، ج:1، ص: 48

المبحث الثاني: معالم التصوف عند الشيخ زروق الفاسي

- ✓ **المطلب الأول**: التعريف بكتاب _قواعد التصوف_
- ✓ **المطلب الثاني**:موقف زروق وجمعه لشريعة و الحقيقة
- ✓ **المطلب الثالث**: المقصد الأخلاقي في فكر الشيخ أحمد زروق
- ✓ **المطلب الرابع**: مركزية حديث جبريل ومنظومات الإسلام الثلاث

المبحث الثاني

والمتأمل في معالم إصلاح التصوف عند الشيخ زروق الفاسي نجده برز و بشكل كبير في كتابه _ قواعد التصوف_ الذي تركز موضوعه في إعمال جهده و بيان قواعد السالك الصحيحة لمن له روح صوفية، و هو ما سنبينه في هذا المبحث بحول الله من التعريف بالكتاب وبيان موقف الشيخ زروق لشريعة والحقيقة وتوضيح أحكام الدين بين الفقه والتصوف وتشمل أحكام الظاهرة و الباطنة أما المطلب الأخير بيان مختصر في مركزية حديث جبريل عليه السلام.

✓ المطلب الأول: التعريف بكتاب _قواعد التصوف_

لقد إنبرى الشيخ زروق الفاسي و هو كما ذكرنا سابقاً هو أحد أعمدة الفقه و الأصول و التصوف المغاربة والذي ترك مصنفات متعددة من أجلها كتاب –قواعد التصوف– إذ يعد من أشهر و أدق ما ألف في الجمع بين صناعة الفكر و الأصول و التصوف إذ يقول في مقدمته:"فالقصد بهذا المختصر، تمهيد قواعد التصوف و أصوله على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة و يصل الأصول و الفقه بالطريقة"[1].

و الحديث عن كتاب قواعد التصوف الذي يعتبر كتاب صغير الحجم إلا أنه كان جامعاً لما يحتاج إليه السالك في طريق الزهد و التزكية ضبطه و علق عليه محمود بيروتي طبع سنة 2004م، له عدة طبعات لكن اعتمدت على الطبعة الأولى، التي نشرت في دار البيروتي_سوريا_ دمشق ، يعد كتاب ''قواعد التصوف'' الذي أتشرف بتقديمه صورة حقيقية للتصوف الإسلامي الذي يجعل من أسمى غاياته إصلاح القلوب، من خلال طائفة من القواعد التي تؤصل للمقاصد الأخلاقية التي يشترط توفرها في المؤمن عموما، وليس المتصوف فحسب، سواء في علاقته مع خالقه سبحانه، أو مع نفسه، أو في تعامله مع الناس. وملخص كتابه يتمحور في خمسة أبواب كالأتي:

الباب 1: التعريف بعلم التصوف

خصصه الشيخ زروق للتعريف بعلم التصوف، وبيان اشتقاقات لفظ التصوف العديدة، منها: الصوفة، والصفاء، و"الصُّفة". وبين أن اصطلاح "التصوف" خاضع لقواعد التركيب العربية، ردا على من زعم أن تسميته تلك بدعة قبيحة. ليمر بعد ذلك إلى الحديث عن تعدد أحوال الصوفية ومقاماتهم، واختصاص كل منهم بصفة غالبة عليه، بين زهادة وعبادة ومعرفة، وبين طهور في الخلق، هذا وقد ذكر أهم قضايا المتناولة في الكتاب، وهي وجوب الجمع بين الفقه والتصوف، حتى يتم بذلك التحقق للعبد، وإلا فعمله وعلمه إلى ضياع. فكان هذا الباب تعريفا للتصوف، وطرحا للخلاف المتوهم فيه، وجمعا لطرائقه المختلفة في مضمار واحد[2].

---

1 _مصدر سابق، زروق الفاسي، قواعد التصوف، ص:11.

2_ ينظر : مصدر نفسه، ص:25/12

الباب 2: فوائد ومقاصد علم التصوف

ذكر الشيخ الفائدة المرجوة من علم التصوف ومقصده، وهي إصلاح القلوب وإفرادها لله تعالى، وقارن هذا بفائدة الفقه والأصول، وذلك ليبين أن التصوف علم قائم بنفسه كغيره من علوم الشريعة، وعن شرف علم التصوف، بأنه أشرف العلوم لكونه متعلقا بغاية الخلق ومعرفة الله تعالى وإخلاص العبودية له.

ليمر إلى الحديث عن أهل التصوف، ومن لهم الاتصاف بالصوفية دون غيرهم، وميز في ذلك المدعين من أهل السلوك الصادقين. وفي هذا أبرز قاعدة أساسية من قواعد الطريق، في تدبير علوم القوم، وفي المستأهلين لزكاتها، حيث بين أنها لا تسلم لأي كان، بل لم صفا باطنه لتلقيها، ابتداء من الأهم وهي علوم إصلاح القلوب.

ثم عاد الشيخ، إلى محور الكتاب، وهو وجوب الجمع بين علوم الظاهر والباطن، الشريعة والحقيقة، ليربط ما ذكره بالقاعدة قائلاً: "لا يصح العمل بالشئ، إلا بعد معرفة حكمه ووجهه"[1] وأن التصوف علم وعمل، لا ينفكان عن بعضها البعض، لا بد من اتباع الكتاب والسنة النبوية .

بعد ذلك، بين مقام الفقه من التصوف، والفقيه من الصوفي، مصرحا أن الفقيه له الأسبقية العلمية والشرعية على الصوفي، ويصح إنكاره عليه، والعكس، لأن الفقيه يعمل بالظاهر ولا يتعداه، أما الصوفي فإنه مرتبط علمه وعمله بالباطن، "وصوفي الفقهاء أكمل من فقيه الصوفية"[2].

وبين آداب طلب العلم، بما في ذلك علم التصوف، وكيف تكون مبادئ طالب العلم في هذا الباب، من حسن سيرة، وإحكام لمنهج التعلم، وتحلي بالإنصات والاستماع الجيد، وطول النفس في التعلم والمذاكرة. ليختم الباب، "بحقيقة الفرق بين الفقه والتصوف، وهي أن الفقه مداره على إثبات الحكم وإسقاط الحرج، والتصوف مداره على طلب الكمال"[3].

1_ زروق الفاسي، قواعد التصوف القاعدة: 22، ص:35

2_ زروق الفاسي، قواعد التصوف، القاعدة 26، ص: 40

3_ مصدر نفسه، القاعدة 31، ص: 45

الباب 3: التأصيل الشرعي للتصوف

ذكر الشيخ أن لكل علم مرده إلى أصله وميز بين الفقه والتصوف[1] وبين ضرورة رد العلوم إلى أصولها، وأخذها عن أهلها، وتحقيق مسائلها، خاصة علم السلوك، "موضح أن غلاة الصوفية غير محسوبين على التصوف، وأكد أنه لا فرق في هذا بين متقدم ومتأخر، بل الله يمن على من يشاء من عباده"[2].

بعد ذلك، نص على قاعدة أساسية كبرى في السلوك، وهي التفريق بين العلم والحال، فمبنى الأول على البحث والتحقيق، ومبنى الثاني على التسليم والتصديق، وإذا اعتبرت هذه القاعدة وتم احترامها، لحلت كثير من الالتباسات والإشكالات العالقة بعلم التصوف[3].

الباب 4: قواعد الإقتداء و السير في طريق التصوف.

لقد استهل الشيخ هذا الباب بالنص على أن المتبع الأوحد هو مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر من تؤول إليهم الرياسة في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة من بعده.

وبين كيف يكون الصوفي ، وأنه عليه اتباع مذهب من مذاهب الأئمة الأعلام من التي ترجع لأصل الكتاب والسنة[4].

ثم أتى على ذكر المذاهب العقدية، وأيها يجب على المريد الأخذ به، فنص على مذهب أهل السنة مع بيان أصوله في التنزيه، وطريقته في التعامل مع قضايا الإلهيات والنبوات والسمعيات جمعا بين العقل والنقل، وتكلم كذلك عن مسألة التأويل، ليوضح أكثر مذهب السواد الأعظم من الأمة: مذهب أهل السنة والجماعة، الذي على المريد اتباعه بغير تردد.

وختم الباب بالحديث عن أعلى السلف مقاما، وهم أهل البيت، فالصوفي علاقة تربطه بهم ليست لغيره، فبين الشيخ مكانتهم، إذ هم الأولياء الأوائل، ومنهم معظم الشيوخ والأقطاب كالمسيب و الأعرج[5] تكلم عن أهل المقامات العالية من السلف عموما.

1_ينظر: مصدر سابق، قواعد التصوف، القاعدة 32، ص:46

2_ينظر: مصدر نفسه، ص:51/50

3 _ ينظر: قواعد التصوف القاعدة 39، ص: 55

4 _ ينظر: القاعدة61، ص86

5 _ ينظر القاعدة: 65، ص94.

فكان هذا الباب مخصصا لبيان أن القدوة عند الصوفي، رسول الله ﷺ، ثم أهل بيته، فأصحابه، ثم من تبعهم من علماء ، والمريد يسير على خطاهم في أحكام العقائد والعبادات والمعاملات، لا يحيد عنها، وهذا أصل من أصول الطريقة، وهو الاتباع والامتثال لأهل الله

الباب 5: مراتب السلوك في التصوف

في هذا الباب الشيخ زروق قدم نظرة الصوفي عن غيره من علماء الشريعة كالفقيه والأصولي، إذ أن نظره أخص، فهو موجه لما يحصل به الكمال. ثم بين مراتب الصوفية التي تتحد في الأصل، وهو الإحسان، وتختلف في الفرع، أي بين رتبتي المشاهدة والمراقبة، فالأولى للعارف، والثانية لمن دونه. وزاد في هذه المسألة كلاما، يبين فيه حكمة تعدد الطرق، فكل واحدة منها تناسب سالكا بعينه فسالك أهل التصوف، يجد فيها الكل ضالته، فمنها ما يلائم الأصولي والفقيه والحكيم والمنطقي والمحدث، وكذلك العامي، إلا أن هذا الأخير يلزمه الحذر والأخذ بأيسرها. ولا يأخذ الصوفي العلم إلا عن أهله.

وختم الشيخ هذا الباب بجملة من الضوابط والآداب والأسس التي على الصوفي وطالب علم التصوف التمسك بها، على رأسها تتبع معاني الألفاظ وذكر بعد ذلك قيما من قيم السلوك كالتقوى والورع والاستقامة، ليأتي على قاعدة عظمى، وهي أن هذه الخصال لا تتحقق للسالك إلا بمصاحبة شيخ صالح، وهذا هو أصل المشيخة عند الصوفية[1].

- و أما منهجه في كتابه هذا فيمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

—ينطلق من الكتاب والسنة ليؤصل للقاعدة، أو يعلل الفكرة.

—لا ينتقد فقط من أجل النقد، وإنما ينتقد من أجل إتمام البناء.

—يعرض آراء العلماء في المسألة، ثم يوجهها ويرجح منها ما رجحه الدليل.

—يرد كل بدعة يقتضيها سياق الكلام، حتى ولو خالف فيها شيوخه[2].

1_ ينظر: مصدر سابق، قواعد التصوف، القاعدة:66، ص: 96

2_ حميد حقي، مركز روافد، المقاصد الأخلاقية في الاتربية الصوفية، 21نوفمبر 2020، https://rawafedcenter.org/author/hakki/، 2021/05/30، 20:20 PM.

✓ المطلب الثاني: موقف زروق وجمعه لشريعة و الحقيقة

يطلق على معرفة الظاهر المتعلق بالعبادات والأحكام الفقه، وتسمى معرفة الأحكام المتعلقة بأفعال بواطن القلوب وما يجري على هذه البواطن من أحكام بفقه الباطن أو بعلم التصوف، وقد ظهر التصوف بوصفه علماً متميزاً من علم الفقه منذ القرن الثالث الهجري، وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى تأخر التدوين في علم التصوف عن تدوين الفقه والكلام والتفسير وغير ذلك من العلوم الشرعية، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك، كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقهم، فمنهم من كتب في الورع، ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك كما فعله المحاسبي في كتاب "الرعاية"، ومنهم من كتب في آداب الطريقة وأذواق أهلها كما فعل القشيري في كتاب "الرسالة"و السهروردي في كتاب "عوارف المعارف" ...

وصار علم التصوف في الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط ثم يصف ابن خلدون المقابلة بين علمي الفقه والتصوف بقوله: "وصار علم الشريعة على صنفين: صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات، وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها، والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها، وكيفية الترقي فيها من ذوق إلى ذوق، وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك"[1].

ومن ثم فالفقه والتصوف على حد تعبير أحمد الزروق:" شقيقان في الدلالة على أحكام الله تعالى و حقوقه ، فلهما أصل الحكم في الكمال و النقص إذ ليس أحدهما بأولى من الآخر في مدلوله"[2]. كما قيل عنه أن أهم إنجاز لزروق في إسهامه في رفع العداء المصطنع بين الفقه و التصوف أو كما يعبر عنهما عادة بين الشريعة و الطريقة وكان يوصف بإعجاب بأنه جمع بين

---

1 ــ حسين علي عكاش، عاقة التوازن و التكامل بين الفقه و الشريعة، مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية ، ص: 28

2ــزروق الفاسي، قواعدالتصوف، القاعدة:20، ص:33

هذين البعدين من أبعاد الإسلام[1]، وذلك من موقفه التوفيقي المعروف الذي بنى عليه التصور للاتفاق بين الفقه و التصوف، وهو مايعبر عن هذا الموقف بوضوح :" فصل في تحرير الطريقة وما بينت عليه من شريعة وحقيقة: اعلم أن الفقه و التصوف أخوان في الدلالة على أحكام الله سبحانه ... فلا تصوف إلا بفقه، إذ لا تعلم أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لاحقيقة للعلم إلا بالعمل، ولا عمل إلا بصدق التوجه. ولا هما إلا بالإيمان، إذ لا يصحان دونه. فهو بمنزلة الروح وهما بمنزلة الجسد، لا ظهور له إلا فيهما ولا كمال لهما إلا به وهو مقام الإحسان" [2] لكن هذا التكامل والتلازم لا يعني بالضرورة الوحدة المطلقة فإن: " حكم الفقه عام في العموم، لإن مقصده إقامة رسم الدين ورفع مناره و إظهار كلمته. وحكم التصوف خاص في الخصوص ، لإنه معاملة بين العبد و ربه من غير زائد على ذلك. فمن ثم إنكار الفقيه على الصوفي ولا يصح إنكار الصوفي على الفقيه، ولزم الرجوع من التصوف إلى الفقه والاكتفاء به دونه ولم يكف التصوف عن الفقه بل لايصح دونه ولا يجوز الرجوع منه إليه إلا به وإن كان أعلى مرتبة. فهو أسلم وأعم منه مصلحة. ولذلك قيل: كن فقيهاً صوفياً ولا تكن صوفياً فقيها"[3].

ومنه قول الشيخ في كتابه قواعد التصوف:" من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه و لم يتصوف فقد تفسق، و من جمع بينهما فقد تحقق" [4] .

وهذا التداخل بين الفقه والتصوف والارتباط الوثيق بينهما ظهر بوضوح في مقالات كثير من علماء الصوفية في سياق بيانهم لحقيقة التصوف، ومن أولئك على سبيل المثال لا الحصر الجنيد (180هـ) بقوله: "مذهبنا هذا: مقيد بأصول الكتاب والسنة"[5] و أبو سعيد الخراز بقوله: "كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل"[6] وأبو الحسين الوراق (408هـ) بقوله:

---

1 _مرجع سابق، أحمد زروق و الزروقية، ص: 206

2_ مرجع نفسه، أحمد زروق و الزروقية، ص: 207

3_ مصدر سابق، قواعد التصوف، القاعدة 26، ص: 40

4_ مصدر سابق ، زروق الفاسي، قواعد التصوف، القاعدة 4،ص:15

5_ مصدر سابق، الرسالة القشيرية، ص: 82

6_ مصدر نفسه

"لا يصل العبد إلى الله إلا بالله، وبموافقة حبيبه في شرائعه، ومن جعل الطريق إلى الوصول من غير اقتداء يضل من حيث ظن أنه مهتد[1] "، والحكيم الترمذي بقوله: "فمن اتقى بالعلم الظاهر وأنكر العلم الباطن، فهو منافق، ومن اتقى بالعلم الباطن، ولم يتعلم العلم الظاهر؛ ليقيم به الشريعة وأنكرها فهو زنديق، وليس علمه في الباطن علم في الحقيقة، إنما هو وساوس يوحي بها الشيطان إليه" وأبو طالب المكي بقوله: "العلم الظاهر والباطن أحدهما مرتبط بصاحبه من أعمال القلوب وأعمال الجوارح، ومثله قول رسول الله: "- إنما الأعمال بالنيات"[2] أي: لا عمل إلا بقصد وتدبر؛ لأن قوله"- ﷺ- إنما" تحقيق للشيء ونفي لما سواه فأثبت بذلك عمل الجوارح من المعاملات وأعمال القلوب من النيات وقال في موطن آخر: "ولعمري أن الظاهر والباطن علمان لا يستغنى أحدهما عن صاحبه بمنزلة الإسلام والإيمان مرتبط كل واحد بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك أحدهما عن صاحبه فليس ثمت تصادم وتناقض بين الفقه الظاهر والتصوف المعبر عنه في بعض الأحيان بالحقيقة، إذ المراد بالشريعة والحقيقة هي إقامة العبودية على الوجه المطلوب منك، فالطريق إلى الله —سبحانه- لها ظاهر وباطن، وظاهرها الشريعة وباطنها الحقيقة، وهما متلازمان:" فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة غير مقبولة، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبولة". يقول أبا علي الدقاق- رحمه الله-:" (إياك نعبد)حفظ لشريعة (و إياك نستعين) إقرار بالحقيقة"[3].

إن عدم الاهتمام بالجانب الباطني من الشريعة الذي هو محط رحال علم التصوف ترتب عليه خلل كبير يتجلى في تحول الدين إلى مجرد طقوس تؤدى، وشعائر تقام، دون أن يكون لها أثر في أخلاق الناس، أو انعكاس على مجريات حياتهم اليومية، كما أصبح الدين بسبب ذلك في نظر كثير من علمائه فضلاً عن غيرهم فتوى حكومية، أو جدلاً للمباهاة والغلبة والإفحام، أو سجعاً مزخرفاً يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام لكسب الشهرة والمكانة الرفيعة بينهم؛ ليكون ذلك جسراً وطريقاً للحصول على مكاسب مادية أو فوائد وظيفية، وقد

---

1 _مصدر نفسه

2_البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ﷺ رقم الحديث:1، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، ط:1، دار طوق النجاة، 1422هـ، ج:1، ص: 06

3 _مصدر نفسه، الرسالة القشيرية، ص: 82

حذر العلماء العاملون الصادقون الذين أقاموا التوازن بين ركني الشريعة في نفوسهم من ذلك أشد التحذير، وهاته النصوص وغيرها من النصوص التي تم ذكرها والتي لم تذكر تؤكد وتلخص نظرة العلماء العاملين إلى خطورة مسألة الارتزاق بالدين المترتبة على عدم التكامل والتوازن بين الظاهر والباطن أو بين الفقه والتصوف عند من يتخذ ذلك منهجاً في تعامله مع الدين[1].

واعلم أن الشريعة حقيقة من حيث أنها وجبت بأمره، والحقيقة شريعة من حيث أن المعارف به سبحانه أيضا وجبت بأمره[2]

✓ المطلب الثالث: المقصد الأخلاقي في فكر الشيخ أحمد زروق

وما من شك في أن الشيخ أحمد زروق رغم ما قدمت عنه من أبحاث ودراسات متنوعة، فإن عالمه ما زال مليئا بالدرر والنفائس، التي تستلزم مزيدا من التنقيب في مكنوناتها وتفاصيلها، خاصة فيما يتعلق بسؤال الأخلاق في التربية الصوفية.

أولا: البعد الأخلاقي في تصوف الشيخ زروق

ينطلق الشيخ زروق في كتابه من قاعدة أساسية، هي في تقديري الأرضية التي يبني عليها كل الأطروحات والأفكار؛ وصار علم التصوف علم مختص في"تمرين النفس لإثبات حسن الخلق، ودفع سيئها"[3]، ويعرف الخلق بأنه هيئة راسخة في النفس، تنشأ عنها الأمور بسهولة، فحسنها حسن وقبيحها قبيح.

وفي نظره أن الأخلاق النفسانية لا تعتبر بالعوارض الخارجية إلا من حيث دلالتها عليها؛كالبخيل من ثقل عليه العطاء، ولو لم يبق لنفسه شيئا، والسخي من سهل عليه العطاء، ولو لم يعط شيئاً.

---

1 _ حسين علي عكاش، عاقة التوازن و التكامل بين الفقه و الشريعة، مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية ، ص: 32

2 _مصدر سابق، الرسالة القشيرية، ص: 83/82.

3_زروق الفاسي، قواعد التصوف، القاعدة 29:ص101.

وبناء على ذلك يقسم الأخلاق إلى قسمين :أخلاق جبلية، وأخرى مكتسبة، فأما الأولى فقد تحدث عنها فقال:" ما جبلت عليه النفوس فلا يصح انتفاؤه عنها.."[1] حيث أشار إلى أن النفس مجبولة على بعض الأخلاق، ومن ثم فهي جبلية في الجميع ولا يصح انتفاؤها؛ غير أنه يبقى التفاوت فيها بين الناس من حيث القوة والضعف، ومن حيث كذلك تحويلها عن مقصدها الأصلي إلى مقاصد أخرى. و من ذلك الطمع مثلا فالنفوس كلها مجبولة عليه، لكن المقصود الشرعي منه هو أن يتعلق القلب بما عند الله، توكلا، ورجاء، وأن يحرص على الدار الآخرة بدلا من الحرص على الدنيا.مستدلا على ذلك بحديث:" إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يطلب الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه"[2].

ثانيا: مجالات المقاصد الأخلاقية عند الشيخ زروق:

نظرا لوفرة المادة الأخلاقية التي تضمنها الكتاب يمكن تقسيمها منهجيا إلى ثلاثة أقسام: وهي أخلاق المتصوف في علاقته بربه، وفي علاقته بنفسه، وفي علاقته بالخلق؛ وهذا التقسيم مأخوذ من كلام نقله زروق عن شيخه الحضرمي في خاتمة الكتاب حيث يقول:"ارتفعت التربية بالاصطلاح، ولم يبق إلا الإفادة بالهمة والحال، فعليك بالكتاب والسنة، من غير زيادة ولا نقصان"[3].و ذلك جار في معاملة الحق والنفس والخلق، فأما معاملة الخلق فثلاث: إقامة الفرائض، واجتناب المحرمات، والاستسلام للأحكام.

وأما معاملة النفس فثلاث" :الإنصاف في الحق، وترك الانتصاف لها، والحذر من غوائلها في الجلب والدفع، والرد والقبول، والإقبال والإدبار .وأما معاملة الخلق فثلاث :توصيل حقوقهم لهم، والتعفف عما في أيديهم، والفرار مما يغير قلوبهم، إلا في حق واجب لا محيد عنه"[4]. وكأن الشيخ زروق – وهو ينقل هذا الكلام عن شيخه– يلخص المعالم الكبرى للتصوف الإسلامي.

1_مصدر سابق، زروق الفاسي، قواعد التصوف، القاعدة 179، ص: 241.

2_ مصدر نفسه، القاعدة 25، ص: 39.

3 _ مصدر نفسه، ص: 286

4_ مصدر سابق، زروق الفاسي، قواعد التصوف، ص:286

1. أخلاق المتصوف في صلته بالحق سبحانه:

إن التصوف الذي يؤصل له الشيخ زروق ليس تصوف الشطحات والرموز، وإنما هو التصوف الذي "قصد لإصلاح القلوب وإفرادها لله عما سواه"[1]. ومن ثم كان أول ما يؤكد عليه الشيخ في علاقة الإنسان بخالقه سبحانه هو تحقيق الإخلاص، إذ لا يمكن لأي عمل أن يقبل من صاحبه إلا إذا كان مخلصا فيه.

وخلافا لما يظنه البعض من أن إظهار العمل يتنافى مع الإخلاص يذهب زروق إلى أن إظهار العمل وإخفاءه عند تحقق الإخلاص أمران ، إذ المقصد قد تحقق؛ ونحن حينما نرجع إلى القرآن نجد آيات كثيرة تتحدث عن هذا؛ فالله تعالى يشير في سورة البقرة إلى أن إبداء الصدقات وإخفاءها أمران فيهما خير، إذ لا يتناقضان عندما يكون القصد هو وجه الله.

وبناء على ذلك فإن التصوف هو العامل في تصفية قلبه عما سوى الحق ومن المعلوم أن الحديث عن التصفية هو حديث عن إخلاص النية.وهذا ما يؤكده بقوله في القاعدة:"حيث يبين أن أهمية التصوف لذي توجه صادق، أو عارف محقق، أو محب مصدق، أو طالب منصف، أو عالم تقلده الحقائق، أو فقيه تقيده الاتساعات؛ فإذا لم يكن كذلك فليس بمتصوف"[2]. ولما كان الإخلاص متعلقا بالعمل كان لابد من أن نتساءل: ما الباعث أصلا على هذا العمل؟ ونحن نتصفح الكتاب نجد الجواب في القاعدة 212، وفيها يرى الشيخ زروق أن من بواعث العمل وجود الخشية: وهي—كما يعرفها –تعظيم يصحبه مهابة[3].

ومما يقتضيه إخلاص العمل لله تحقيق الحب له ولرسوله؛ وقيمة الحب بهذا المعنى كفيلة بأن تجعل الإنسان سعيدا في الدنيا و الاخرة، إذ يتذوق حلاوة الإيمان إلا المحبون المخلصون. وقد جاء في الحديث: عنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ

---

[1]_ مصدر نفسه، زروق الفاسي، قواعد التصوف القاعدة 13، ص: 26

2_مصدر نفسه، القاعدة 11، ص: 24.

3_ مصدر نفسه، القاعدة 212، ص: 279.

وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ "[1] .

أخلاق المتصوف في علاقته بنفسه:

إن النفس تصنف إلى نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة ومن جملة ما ينبغي للمتصوف أن يجتهد في تحصيله أن يكون قلبه صافيا من الشواغل والشواغب، وهو ما اعتبره –رحمه الله– خلقا أساسيا للتصوف، فعند حديثه عن الفراسة باعتبارها نورا إيمانيا ينبسط على القلب، بين أن الفراسة:"لا يهتدى لحقيقتها إلا من صفا قلبه من الشواغل والشواغب"[2].فعلى المرء أن لا يشغل باله بالدنيا على حساب الآخرة، وهذا عين الزهد في الدنيا. وهو كما يعرفه الشيخ زروق :"برودة الشيء على القلب حتى لا يعتبر في وجوده ولا في عدمه"[3] وبهذا يصحح المفهوم على أنه ليس ترك الدنيا، وإنما هو إخراجها من القلب، والانتفاع بها دون إسراف؛ وهذا مظهر من مظاهر الوسطية والاعتدال في فكره رحمه الله تعالى.

وأصل منهج الوسطية هذا من القرآن والسنة، فالله تعالى يأمر الإنسان أن لا يجعل يده مغلولا، وأن لا يبسطها كل البسط، وإنما يكون وسطا بين ذلك، وهذه هي الوسطية الحقيقية.

ولما كان الإنسان معرضا للخطأ كان لابد له من محاسبة نفسه، حتى يعرف قدرها، ويتمكن من تصحيح أخطائه بالتوبة والإنابة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾الحشر/18. وفائدة ذلك معرفة المرء بنفسه وتواضعه لربه، ورؤية قصوره وتقصيره. وفي مقابل ذلك يدعو إلى عدم الانشغال بعيوب الآخرين وإشاعتها بين الناس ومما استدل به على ذلك قول النبي ﷺ: "مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ "[4]

1_ البخاري, الجامع الصحيح, كتاب الإيمان, باب حلاوة الإيمان، رقم الحديث16، تحقيق:مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، ط1،دار طوق النجاة، 1422هـ،ج1،ص19

2_ مصدر سابق، زروق الفاسي، قواعد التصوف، القاعدة 156، ص: 212.

3_ مصدر سابق، زروق الفاسي، قواعد التصوف، القاعدة 169، ص: 228

4_ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب الحدود، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات، رقم الحديث:2544، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار: إحياء الكتب العربية، ج:2، ص:850

وأمام هذا الاهتمام الكبير بالنفس باعتبارها العقبة التي تقف أمام تحقيق الأخلاق يمكن القول بأن الشيخ زروق عالم نفس إسلامي بامتياز. ذلك من حرصه الكبير على التحذير من هوى النفس، والكشف عن عيوبها ووصف الدواء لها[1].

3. أخلاق المتصوف في علاقته بالخلق:

إن توطين النفس على معاملة الناس بمحاسن الأخلاق هو من مسلمات الدين التي من أجلها بعث النبي ﷺ. والشواهد النصية على ذلك أكبر من أن تحصى؛ إذ القرآن الكريم كله دعوة لحسن التعامل مع الناس، كما أن حياة النبي ﷺ جسدت هذا التعامل ومثلته حق التمثيل. فعلى المرء أن يتحرى الصدق في أقواله وأفعاله. ونحن حينما نقرأ وصية النبي صلى الله عليه وسلم : (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا)[2]، ندرك إلى مدى يحتاج المؤمن أن يكون صادقا.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن حديث الشيخ عن الصدق ليس حديثا عنه في القول والفعل فحسب، بالإضافة إلى الصدق مع الناس ينبغي للمؤمن أن يتحلى بقيمة التعاون مع الخلق، ذلك أن "التعاون على الشيء ميسر لطلبه ومسهل لمشاقه على النفس وتعبه فلذلك ألفته النفوس حتى أمر به على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان"[3]. كما جاء في قوله:" **الصوفي من عامل الحق بالحقيقة والخلق بالشريعة** ".[4]

يبين الشيخ أحمد المقاصد الأخلاقية للتربية الصوفية في كتابه للمريد السالك للصوفية ولمن له مطالعة لأخلاق التصوف و ما يتحلى به عموماً.

1_ حميد حقي، مركز روافد، المقاصد الأخلاقية في التربية الصوفية، 21نوفمبر 2020، https://rawafedcenter.org/author/hakki/، 2021/05/30، 20:20 PM.

2_ مسلم، صحيح مسلم، كتاب البرو الصلة و الآدب، باب قبح الكذب و حسن الصدق و فضله، رقم الحديث: 207، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي_ بيروت_، ج:4، ص: 2013.

3 _ مصدر سابق، زروق الفاسي، قواعد التصوف، القاعدة 30، ص 44

4 _ مصدر نفسه، القاعدة 32 ص: 46

✓ المطلب الرابع: مركزية حديث جبريل عليه السلام ومنظومات الإسلام الثلاث

وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور عن الإسلام و الإيمان و الإحسان ، وعلى ضوء هذه الأقسام نشأت علوم حاول أصحابها تقعيد قواعدها وبيان أصولها و فروعها استنباطاً من الوحي الشريف، فأسس علم العقائد المتعلق بالأصول ببيان أصول الإعتقاد وهو المعبر عنه بأصول الإيمان الست، وأسس علم الفقه المتضمن لأبواب العبادات من صلاة وزكاة وغيرها.. ومعاملات كبيع وزواج و ميراث، وأسس علم ثالث اهتم أساطينه بمبحث الأخلاق عن طريق مداوة النفوس بتحليتها بالفضائل و تخليتها من الرذائل، وهو علم التصوف الذي كان موضوعه الرئيس إصلاح النفس الإنسانية وهو المعبر عنه بالإحسان في حديث النبي ﷺ قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[1] لذا دفع الشيخ زروق الفاسي في قواعده اعتراض من يرى أن التصوف دخيل لا أصل له من كتاب و سنة كما جاء في قواعده بقوله:"إسناد الشئ لأصله والقيام فيه بدليله الخاص به يدفع قول المنكر لحقيقته فأصل التصوف مقام الإحسان الذي فسره النبي ﷺ كما دار الفقه على مقام الإسلام، والأصول على مقام الإيمان، فالتصوف أحد أجزاء الدين"[2] لذا دعا علماء الأمة من الفقهاء وأساطين التصوف الإسلامي إلى مراعاة أحكام الشريعة الإسلامية في الجملة سواء ما تعلق منها بالأوامر من أقوال و أفعال ظاهرة كالصوم و الصلاة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أو ما تعلق بالنفس و القلب كالإخلاص و التواضع و الحب في الله ، وكذا النواهي المتعلقة بظاهر الأقوال و الأفعال، كالنهي عن القتل بغير حق و السرقة، وإلى ما يتعلق بأعماق النفس أو القلب كالنهي عن الكبر و العجب و الرياء و الحقد و الضغائن و التعلق بزخارف الدنيا وأهواء النفوس[3].

1_ البخاري, الجامع الصحيح, كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل للنبي ﷺ، رقم الحديث50، تحقيق:مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، –ط1،دار طوق النجاة، 1422هـ،ج:1ص:19

2 _ زروق الفاسي، قواعد التصوف، القاعدة: 05، ص: 17

3_مرجع سابق، حميد حقي، مركز روافد، المقاصد الأخلاقية في الاتربية الصوفية، 21نوفمبر 2020، https://rawafedcenter.org/author/hakki/، 2021/05/30، 20:20 PM.

وجاء في كتاب الله تعالى قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾القيامة: 14على أعمال الإنسان وأقواله، إن الفتاة التي تربت في مدرسة الإسلام خير من جميع العلماء والفلاسفة الذين فتن بهم المسلمون إنها حين قالت لها أمها: قومي اخلطي اللبن بالماء لتبيعه. قالت لأمها: إن أمير المؤمنين نهى عن ذلك، فلما قالت الأم: إن أمير المؤمنين لا يرانا. قالت الفتاة: "ولكن الله يرانا" أرأيت أجمل من هذا وأوقع منه في النفس؟ والأصل في الإنسان المسلم أن رقابته لله، وخوفه منه، واستسلامه النفسي لأحكامه هي التي تحكم تصرفاته، وتهيمن على جميع شؤونه، وتضبط كل أنواع سلوكه وأخلاقه، والأصل في المنهج الإسلامي أن يربي المسلم على العقيدة الحية، ويصله بالله صلة وثيقة، ثم يلقي إليه بجميع التعليمات والتوجيهات، والأوامر والنواهي ليكون بالعقيدة أميناً على تنفيذ ما يلقى إليه، وأي قارئ في تاريخ الإسلام، والمسلمين يجد ثروة أخلاقية لا مثيل لها، سواء في حياة الرسول مُحَمَّد ﷺ، أو في حياة أصحابه وأتباعهم وأتباع أتباعهم، وكل من جاء بعدهم واستمسك بدينه، وراقب ربه، ونفذ شرع الله تعالى كما جاء في الكتاب والسنة. ولن تجد صرح الأخلاق بين المسلمين منهدماً إلا إذا كان الإسلام في نفوسهم وفي حياتهم شعاراً فقط واسماً لا مدلول له في الجانب العملي، فقد سبق أن عرفنا من حديث رسول الله ﷺ أنه بعث بشرع من عند الله من أجل إتمام مكارم الأخلاق. فأي إنسان يعمل بهذا الشرع ويلتزم به هو قمة أخلاقية، وأي إنسان يهمل هذا الشرع أو ينبذه هو مثل سيء في مجال الأخلاق، أو قل هو أسوأ مثل أخلاقي وإن ملأ الدنيا بالدعاوى، واستدرج البسطاء إلى تصديقه[1].

في هذا المبحث يمكن القول أن العلامة أحمد زروق استطاع بجهوده الإصلاحية التوفيق و الجمع بين الشريعة و الحقيقة كما أبرز أن التصوف هو تزكية النفس و المعبر عنها بالإحسان.

1_حسن مُحَمَّد أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، دار: الندوة الجديدة بيروت – لبنان، ط:5، 1403 هـ - 1983 م، ص: 291.

خاتمة

وهكذا نصل في هذا البحث و في خاتمته لأحاول الإجابة عن الإشكالية التي طرحتها في مقدمته و بناءا على ذلك أخلص إلى مجمل النتائج و القول:

- ينطلق الشيخ أحمد زروق في كتابه من الكتاب و السنة ليؤصل القاعدة.
- كتابه يعد من أشهر ما ألف في الجمع بين صناعة الفكر و الأصول و التصوف
- يعتبر كتاب قواعد التصوف مرجعاً لا غنى عنه للباحث في التصوف الإسلامي.
- جهود الشيخ أحمد زروق تكمن في التربية و السلوك والكتابات الإسلامية
- يعتبر من العلماء الذين أسهموا في العلم و ذلك من خلال إنفاقه لسنين حياته في العلم و السفر بين الحواضر العلمية في العالم الإسلامي
- كان الشيخ زروق إسهامه الكبير في الجمع بين التصوف و الفقه.
- جمع الإمام أحمد بين الفقه و التصوف ووفق بينهما لقوله: أن الفقه و التصوف أخوان في الدلالة، إذ لا تصوف إلا بفقه و لا فقه إلا بتصوف.
- التصوف علم مختص في تمرين النفس لإثبات حسن الخلق و دفع سيئها.
- يحذر الشيخ زروق من هوى النفس.

التوصيات

أوصي الباحثين من بعدي ب:

- التعمق و البحث مثل هذه المواضيع لإبراز جهود علماء آخرين وإظهار نشاطاتهم و إسهماتهم
- دراسة الموضوع من جوانب مختلفة : كالفكر العقدي له...
- نشر الوعي و الصورة السليمة للتصوف

و صل اللهم وسلم وبارك على سيد الخلق و حبيبنا و قدوتنا مُحَّد بن عبد الله و على آله و أصحابه الأخيار .

قائمة الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية
فهرس الأحاديث
قائمة المصادر و المراجع
فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
قال تعالى:" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ"	الحشر	18	42
قال تعالى:"بل الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ"	القيامة	14	44

فهرس الأحاديث النبوية

الأحاديث	الصفحة
عنِ النَّبِيّ ﷺقَالَ: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَان	40
قال النبي ﷺ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ, كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ, فَإِنَّهُ يَرَاكَ"	43
قال النبي ﷺ:" إنما الأعمال بالنيات"	36
قال النبي ﷺ:"عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ"	42
قول النبي ﷺ: "مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"	42

قائمة المصادر و المراجع

أولا : القرآن الكريم برواية حفص

ثانيا : السنة النبوية

1_ البخاري،مُحَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم الحديث16، تحقيق:مُحَّد زهير بن ناصر الناصر، –ط1،دار طوق النجاة، 1422هـ،ج1.

2_ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله مُحَّد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، كتاب الحدود، باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات، رقم الحديث:2544، تحقيق: مُحَّد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار: إحياء الكتب العربية، ج:2.

3_مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب البرو الصلة و الآدب، باب قبح الكذب و حسن الصدق و فضله، رقم الحديث: 2607، تحقيق: مُحَّد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي_ بيروت_، ج:4.

ثالثا: المصادر

1- زروق الفاسي، قواعد التصوف، تحقيق: محمود بيروتي، ط:1، د: البيروتي- سوريا، 1424هـ /2004.

2_ أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الإقتباس، د.ط، دار المنصور، الرباط، 1973.4.

3_ الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، ط:3، دار المدار الإسلامي.

4_ حسن مُحَّد أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، دار: الندوة الجديدة بيروت – لبنان، ط:5، 1403 هـ - 1983 م.

5_ علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، د: الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط: 1، 1403هـ -1983م،ج: 1، ص: 59.

6 _أحمد زروق،عدة المريد الصادق، تحقيق: الصادق بن عبد الله الغرياني، ط:1، د: ابن حزم- بيروت ، 1467هـ/2004م.

7 _أحمد فريد النزيدي، شرح متن الرسالة، د.ط، د: الكتب العلمية،1971، ج: 1.

8-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، د: الغرب الإسلامي، ط:1، 1500/1830، ج:1.

رابعا:المراجع

1- مذكرة ماجستير، الفكر العقدي للشيخ أحمد زروق الفاسي البرنسي.

2- معمر قول، مطبوعة التصوف الإسلامي، سنة ثالثة عقيدة و مقارنة الأديان، جامعة الوادي، 2018/2017.

3-حرحيرة مداني، مذكرة لنيل الماجستر في الفلسفة: الرمزية الصوفية في الأزمات الإجتماعية، كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية، جامعة واهران، 2013/2012.

4-علي فهمي خشيم، أحمد زروق و الزروقية، ط:3، د: المدار الإسلامي، 2002.

5-مصطفى الريس، تقعيد المشرب الصوفي بالمغرب في القرن الثامن الهجري، مؤسسة مؤمنون بلا حدود.

خامسا:مواقع الأنترنت

1_ ابراهيم الوراق، مؤسسة الحوار المتمدن، 03:04 - 8 / 11 / 2006 - 1728 ، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=80253،

2_ حميد حقي، مركز روافد، المقاصد الأخلاقية في التربية الصوفية، 21نوفمبر 2020، https://rawafedcenter.org/author/hakki/.

فهـــــرس الموضوعــات

الموضوع	الصفحة
البسملة	
الإهداء	
شكر و تقدير	
قائمة المختصرات	
مقدمة	**07**
المبحث الأول: حياة الشيخ زروق	**12**
المطلب الأول: حياة الشيخ زروق الفاسي الشخصية	**13**
نسبة الشيخ زروق و مولده	**13**
شيوخ الشيخ زروق وتلاميذه	**14**
وفاة الشيخ زروق	**15**
الحياة االفكرية و الإجتماعية في عصره	**16**
المطلب الثاني: حياة الشيخ زروق العلمية	**17**
طلب الشيخ أحمد للعلم	**17**
رحلات وتنقلات الشيخ أحمد	**18**
مكانة الشيخ زروق الفاسي العلمية	**19**
أراء العلماء على الشيخ زروق	**20**
مؤلفاته	**21**
المطلب الثالث: تعريف التصوف ومجاله و أهميته	**22**
تعريف التصوف	**22**

التصوف لغة	**22**
التصوف اصطلاحاً	**23**
مجال التصوف	**23**
أهمية التصوف	**24**
المطلب الرابع: واقع التصوف خلال القرن الثامن و التاسع هجري	**25**
المبحث الثاني: معالم التصوف عند الشيخ أحمد زروق	**28**
المطلب الأول:التعريف بكتاب قواعد التصوف	**30**
المطلب الثاني:موقف زروق وجمعه لشريعة و الحقيقة	**35**
المطلب الثالث: المقصد الأخلاقي في فكر الشيخ أحمد زروق	**38**
المطلب الرابع: مركزية حديث جبريل ومنظومات الإسلام الثلاث	**43**
خاتمة	**44**
الفهارس العامة	**46**
فهرس الآيات القرآنية	**47**
فهرس الأحاديث النبوية	**48**
قائمة المصادر و المراجع	**49**
فهرس الموضوعات	**51**
ملخص البحث	**53**

ملخص البحث

تعالج هذه الدراسة جهود الشيخ زروق الفاسي في إصلاح التصوف من خلال كتابه_ قواعد التصوف_ و ذلك من خلال استنادي لبعض قواعده و الذي تناول في كثير من القواعد ما يجب أن يتخذها السالك الصحيح للتصوف. وهو موضوع في غاية الأهمية لارتباطه بالواقع الإنساني الصوفي وكل مؤمن على العموم لإن قواعده جاءت متنوعة و متناولة و شاملة عدة مواضيع من عقيدة و أخلاق و التربية و السلوك....وقد وظفت في اشتغالنا على هذا الموضوع منهجا استقرائيا عمدت من خلاله إلى تتبع و استقراء على أهم جزئيات من هاته القواعد واستنباط ما أمكن استنباطه من نتائج، لنخلص في الأخير إلى أن جهود الشيخ زروق بارزة في إصلاح التصوف و بشكل كبير كما يعد علم من أعلام التصوف في المغرب كما أبرز أن للتصوف لما له من أهمية و آثار في تصحيح سلوك المسلم.

This study deals with the efforts of Sheikh Zarrouk Al-Fassi in reforming Sufism through his book - The Rules of Sufism - through my reliance on some of its rules, which dealt with many rules for what the correct leader of Sufism should take. It is a topic of great importance due to its connection with the inner human reality and every believer in general, because its rules were varied and covered and included several topics of faith, morals, education and behavior .... We employed in our work on this subject an inductive approach through which I proceeded to follow and extrapolate the most important parts of these rules and elicit Possible conclusions, to conclude that Sheikh

Zarrouk's efforts are notable in the reform of Sufism, and significantly, as considered. One of Sufism's flags in Morocco, where he highlighted that Sufism is important and influences in correcting Muslim behavior